خطبة عن تحريم أذية المسلمين في طريقهم

د. خالد بن قاسم الردادي

عباد الله، اتقوا الله تعالى واحذروا سخطه، فإنكم بين يدي الله موقوفون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم في حقوق الله وحقوق عباده نادمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وبعد:

لقد دعا الإسلام إلى مكارم الأخلاق، وحث عليها، ورغب فيها؛ فدعا إلى العشرة الطيبة، والمعاملة الحسنة، كما دعا إلى لين الجانب، وبذل الندى، وكفّ الأذى، وأخبر –صلى الله عليه وسلم– أن كفَّ الأذى من أفضل خصال الإسلام، فعن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– قال: قلنا: يا رسول الله! أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ المسلمونَ من لسانه ويده» متفق عليه .

إن الإسلام دين شامل كامل من جميع الجوانب... فنظم أمور العباد الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وجعل لها ارتباطا وثيقاً بالأحكام الشرعية .

ومما اهتم به الإسلام وأكَّد عليه تقويةُ العلاقة بين المسلمين، والحفاظُ على أواصر الترابط الاجتماعي، مبيّناً الرابطة القوية التي تجمعهم، وهي الأخوَّةُ في الدين فقال: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [الحجرات: ١٠].

وأخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: «لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُه».

فاحتقار المسلم، وانتهاك حرماته، والتعدي على حقوقه وممتلكاته، من علامات الشر في العبد.

بل أكد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على أمر هام، وله شأن عظيم في تقوية أواصر المحبة بين المسلمين، فقال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

عباد الله، إن أذية المؤمنين من أشد المظالم، وأعظم المآثم التي توعد الله أهلها بالوعيد الأكيد، وتهددهم بالعذاب الشديد، في مثل قوله سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ**

مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وهذا يشمل الإيذاءَ الحسي والمعنوي، بالقول أو بالفعل، كالاعتداء على الأموال والممتلكات والحُرُمات، أو السبِّ والشتم، أو الاتهامات الكاذبة، أو الشائعات المغرضة. وليعلم من يفعلُ ذلك أنَّ الله -جل وعلا- يدافع عن عباده المؤمنين، ويُبطلَ كيد الكاذبين، {**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**} [الحج:٣٨].

ومن حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على حفظ حقوق المسلمين وعدم إيذائهم، ما جاء في "الصحيحين" عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: «إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ!» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ».

فأمَرَ الرسول -صلى الله عليه وسلم- بإعطاء المسلم حقَّهُ، ومن حقِّهِ كفُّ الأذى بجميع أنواعه وصنوفه ودرجاته.

فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد قال لمن يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة: «اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ»، فما أكبر منها أشدُّ وأعظم!

ومن شدة الحرص على عدم إدخال الشكوك بين المسلمين، وعدم فتح الباب للشيطان للإفساد بينهم، قال -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ» متفق عليه.

وفي رواية عند الترمذي: "فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِ".

فأذيّة المؤمنين والإضرارُ بهم ذنب عظيم، وجرم كبير، وسببٌ لسخطِ الله -جل وعلا- وغضبِه.

وعَنْ نَافِعٍ، عن عبدالله بن عمر —رضي الله عنهما- قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».

قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى البَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ،

وَالمؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ» أخرجه الترمذي وصحّحه الألباني.

وعن سهل بن معاذ عن أبيه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " مَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ » أخرجه أبو داود وحسَّنه الألباني.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي النَّارِ "، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا، وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: " هِيَ فِي الْجَنَّةِ " أخرجه أحمد بإسناد حسن.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ-: " مَنْ جَرَّدَ ظَهْرَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، لَقِيَ اللَّهُ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ " أخرجه الطبراني في "الكبير" بإسناد جيد.

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ باللهِ وَالجِهادُ فِي سَبيلِهِ». قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أَهلِهَا وَأَكْثَرهَا ثَمَنًا». قُلْتُ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ». قُلْتُ: يَا رَسُول الله، أرأيْتَ إنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فإنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ». مُتَّفَقٌ عليه.

عباد الله: إن أذية المسلمين تكون بالقول وبالفعل أو بهما معًا، فالقول: كالغيبة، والنميمة والسب والشتم والافتئات، قال تعالى: { **إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ** }[النور:١٥].

وقال تعالى: { **وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** }[الحجرات:١٢].

وأما أذية الناس بالفعل فلها أنواع كثيرة خطيرة منها: أذية الجيران باستعمال ما يؤذيهم ويقلقهم من الأصوات المزعجة أو المحرمة كأصوات الأغاني والمعازف والمزامير التي كثرت في هذا الزمان بواسطة الأجهزة الحديثة في البيوت والدكاكين وصار أصحابها لا يبالون بقلق الناس منها وتأذيهم بها،.. ونحو ذلك.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا من أذية المسلمين في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم.

نفعني الله وإيّاكم بهديِ كتابِه وبسنّة نبيّه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيمَ ...

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وآله وصحبه، ومن اقتفى.. وبعد:

فلا ريب أن إيذاء المؤمنين بغير حق له صور كثيرة لا يُستطاع حصرها؛ وإنما تجمعها صفة الأذية والإساءة والمضايقة للغير، ويعظم الإيذاء ويتضاعف الإثم وتشتد العقوبة كلما اشتدت الأذية، وكلما عظمت حرمة الشخص، أو الزمان، أو المكان، أو المناسبة، ولعلنا نقف مع بعض صور الأذية لنحذَر منها ونحذِّر:

فمن أبرز هذه الصور التعدي على الدماء والأموال والأعراض ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد أن قرر الناس في يوم النحر على حرمة البلد والشهر واليوم قال: « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلَّالًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ » الحديث.

عباد الله، ومِن أشنعِ صُوَرِ الأذِيّةِ أذيّةُ الجار لجاره؛ فإن أذية المسلم للمسلم مذمومةٌ عمومًا، وتزداد مذمة وإثمًا إذا كان جارًا للمؤذي؛ لِما للجار منَ المنزلة في الشرع؛ إذ قد حَثّ الله على برِّه ومُواساته، وأمر بكَفِّ الأذى عنه؛ يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنّهُ سَيُوَرّثُه » ، وفي الحديث: «وَاللّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللّهِ لاَ يُؤْمِنُ » ، قيل: من يا رسول الله؟ قال: « الّذي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ » أي : شُروره وغَوائله.

وفي الحديث أيضًا: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَه » ، وفي رواية: «فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِه ».

لقد تعدى كثير من الناس - هداهم الله- على هذه الأوامر، ولم يكتفوا بعدم إحسانهم إلى جيرانهم وبِرِّهِم بهم؛ بل تخطوا ذلك إلى إيذائهم ومضايقتهم بألوانٍ من الأذى.

ومن صور أذية المسلمين مضايقتهم في طرقاتهم وشوارعهم بإلقاء الأذى فيها من النفايات والأوساخ والنجاسات، وبعض الناس لا يبالي بوضع هذه الأشياء في طرقات المسلمين، وقد صحَّ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة، وأنها من شعب الإيمان مما يدل على أنه مطلوب من المسلم أن يزيل الأذى عن طريق المسلمين، فكيف يلقيه

هو فيه؟!

ومن صور أذية المسلمين في طرقاتهم ما يفعله كثير من البنائين من وضع الحجارة والطوب والحديد أو حفر الحفر في الطريق ويترك ذلك مدة طويلة يحتج به الطريق من غير مبالاة بحق المسلمين، وفي ذلك إثم عظيم وظلم كبير.

ومن أذية المسلمين في طرقاتهم –أيضًا– إيقاف السيارات فيها أو مضايقة الناس أثناء السير أو ترويعهم بالسرعة الجنونية أو إزعاجهم بأصوات الأبواق من غير حاجة.

فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ نَبِي اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– غَزْوَةَ كَذَا وَكَذَا، فَضَيَّقَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَبَعَثَ نَبِيُّ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– مُنَادِيًا يُنَادِي فِي النَّاسِ: «أَنَّ مَنْ ضَيَّقَ مَنْزِلاً، أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا، فَلاَ جِهَادَ لَهُ» أخرجه أبو داود وأحمد بإسناد حسن.

ومن أذية المسلمين: قضاء الحاجة بالتبول أو التغوط في طريقهم أو مواردهم أو الظل الذي يجلسون فيه؛ فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ» أخرجه مسلم.

فأمر باجتناب الأمور التي تجلب اللعن، وذلك أن من فعل شيئاً منها لعنه الناس وشتموه، وقد أخرج الطبراني بإسناد حسن: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «مَنْ آذَى المسْلِمِينَ في طرِيقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيهِ لَعْنَتُهُمْ »، وهذه الأحاديث تدل على استحقاقه اللعنة.

ومن صور إيذاء المسلمين حفر الآبار الارتوازية في الطرق البرية وأماكن التنزه أو بجوار البساتين وتركها مفتوحة دون غطاء أو حماية فكم نجم عن هذا من مآسي وفواجع من هلاك للأنفس من الأطفال الأبرياء وغيرهم، وقد أكدت وزارة البيئة والمياه والزراعة على وجوب تحصين الآبار حفاظًا على الأرواح والدعوة والإبلاغ عن الآبار المكشوفة والمهجورة لردمها وتحصينها لضمان سلامة عابري الطرق والمتنزهين، فيجب التعاون معهم وعدم التساهل في هذا الأمر.

فكُلُّ ذلك – يا عباد الله – يدخل تحتَ قولِ الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: {**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**} [الأحزاب: ٥٨].

فاتقوا الله عباد الله واحذَروا من أذيّة إخوانِكم بأيّ نوعٍ من أنواع الأذى أو صورةٍ من صوَر

الإضرَار، فذلكم وقوعٌ في شرّ عظيم وخطرٍ جسيم، واسلَموا بدينكم، وحافِظوا على أعمالكم.

هذا وصلوا وسلموا على النعمة المسداة والرحمة المهداة؛ سيدنا وحبيبنا محمدٍ بن عبد الله، فقد أمركم ربكم بذلك فقال: {**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**} [الأحزاب:٥٦].